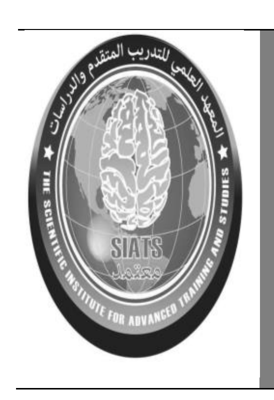


SIATS Journals

Journal of Islamic Studies and Thought for Specialized Researches

(JISTSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk



مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية

المجلد3 ، العدد 1،كانون الثاني ،يناير 2017م.

e-ISSN: 2289-9065

THE TRUTH OF FAITH IN IMAM AL - DAMAMINI IN THE LAMPS OF THE MOSQUE

حقيقة الإيمان عند الإمام الدماميني في مصابيح الجامع شرح صحيح البخاري

Ahmed Qasim Najm Al-Mashhadani

Associate professor Dr: Mazlan bin Ibrahim

Dr. Indriaty Ismail Dr.Zulazmi bin Yaakob

Department of Theology and Philosophy Universiti Kebangsaan Malaysia

abuhomam6@gmail.com

1438هـ – 2017م

ARTICLE INFO
Article history:
Received 2/10/2016
Received in revised form 3/11/2016
Accepted 5/12/2016
Available online 15/1/2017

Keywords:
Insert keywords for your paper

ABSTRACT

The correct and upright faith is the basis of Islam. A person is considered a Muslim if he/she follows the correct faith of Islam, the acceptance and the rejection of person efforts is also based on the correct and upright faith, and correct and upright faith leads to the right way of life. Therefore, Islamic scholars have had different views and thoughts on the concept of truth of faith. Some scholars' views agreed with the methodology of the Ahlus Sunnah Wal Jamaah, whereas other scholars' views agreed with other methodologies. One of these scholars is Al- Damāmīnī who has a views and thoughts on truth of the faith that he presented in his book Maṣābīḥ al-Jāmi' : wa-huwa sharḥ al-Jāmi' al-ṣaḥīḥ lil-Imām al-Bukhārī. Al-ṣaḥīḥ lil-Imām al-Bukhārī is considered one of the most authentic collections of the Sunnah of the Prophet Muhammad Peace be upon him. This study aims to investigate the scientific biography of Imam Al-Damāmīnī, the words of scholars in the concept of faith, as well as the words of Al- Damāmīnī toward aspects of faith that the scholars disagree on. The study applied the inductive method through tracing the texts on the subject of faith, and the descriptive analysis method on the extrapolated texts. This study concluded that based on the Imam Al- Damāmīnī Scientific biography, he is one of the prominent scholars of Ahlus Sunnah Wal Jamaah, scholars have different and varied views and thoughts on the concept of faith in which some views agree with Ahlus Sunnah Wal Jamaah and some views do not and the Imam Al- Damāmīnī views and thoughts in the concept of faith is similar to scholars of Ahlus Sunnah Wal Jamaah.



الملخص

تكمن مشكلة الموضوع أن العقيدة الإسلامية الصحيحة، هي أساس الدين، وهي التي يتوقف عليها إسلام المرء من عدمه، والتي يتوقف عليها صحة قبول الأعمال، وهي التي يبنى عليها جميع المعارف، لذا اختلفت آراء العلماء في حقيقة الإيمان، فمنهم من وافقت آراءه في حقيقة الإيمان منهج أهل السنة والجماعة، ومنهم من وافقت آراءه الفرق الأخرى، ومن هؤلاء العلماء هو الإمام الدماميني، فقد كانت له آراء في حقيقة الإيمان والتي بينها في كتابه مصابيح الجامع شرح صحيح البخاري، وهو أصح كتاب بعد القرآن الكريم، وهذ الأمر يستلزم دراسة السيرة العلمية للإمام الدماميني وأقوال العلماء في تعريف الإيمان، وأقوال الدماميني في مسائل الإيمان التي اختلفت فيها الآراء. وقد استخدمت الدراسة منهج استقراء النصوص التي تناولت موضوع الإيمان، والمنهج الوصفي التحليلي لهذه النصوص التي تم استقراءها. وتوصلت الدراسة إلى أن الإمام الدماميني هو أحد العلماء البارزين من أهل السنة والجماعة من خلال سيرته العلمية، وأن العلماء لهم آراءه مختلفة ومتباينة في مسائل الإيمان منها موافقة لأهل السنة والجماعة ومنها غير ذلك، وأن آراء الدماميني في مسائل الإيمان موافقة لأقوال علماء أهل السنة والجماعة.



مقدمة:

إن الحمد لله نحمدهُ ونستعينُ بهِ، ونستهديه ونستغفرهُ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، والصلاة والسلام علي سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وصحابته الغُر الميامين، وعن التابعين ومن صار علي دربهم إلي يوم الدين وبعد:

إن علم العقيدة والحديث الشريف يُعتبر من أعظم العلوم الشرعية ؛ لآنها مُستمدة من القرآن الكريم أولاً، ومن سنة النبي صلى الله عليه وسلم المطهرة، وهو الأصل الثاني في التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، ولقد أكد القرآن الكريم في آيات مكانة السنة النبوية ودورها بعد القرآن الكريم ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: {وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[1].

يهدف هذا البحث إلي دراسة مباحث الإيمان؛ عند الإمام العلامة الدماميني رحمه الله تعالي عن الإيمان في كتابه مصابيح الجامع في شرح صحيح البخاري، كما سيتطرق الباحث لمعرفة ما معني الإيمان لغةً واصطلاحًا وسوف يتناول المبحث الثاني بشيء من التفصيل والايضاح والإفهام موضوع زيادة الإيمان ونقصانه والذي وقع فيه اختلاف كبير بين بعض علماء المسلمين؛ وبين بعض الفرق الإسلامية؛ أما المبحث الثالث في هذا الباب يُعني بدراسة وفهم الإسلام والإيمان؛ لأن الإيمان من صلب العقيدة، والتي تعتبر من أصول الدين، ولأن الدين أصول وفروع، فإن العقيدة أخطر وأهم شيء في الدين، وإذا صحت عقيدة الإنسان المسلم فقد صح عمله، وإذا فسدت عقيدته فسد عملهُ، وهناك توجد علاقة تراجيدية ووطيدة ووثيقة، ومتلازمة بين العقيدة والسلوك, فمن صحت عقيدتهُ صح إسلامه وإيمانه وصح سلوكُه وحسُنت أخلاقهُ، نسأل الله عز وجل أن يهدينا سُبل السلام وينير طريقنا بنور الإيمان به وأن يجعل حياتنا كلها لله عز وجل. تنبع أهمية هذا البحث من أهمية الموضوع الذي يتناوله والذي يعتبر في صلب العقيدة وأساس راسخ يميز بين المسلم والكافر، ألا وهو باب الإيمان، في أصح الكتب بعد القرآن الكريم، من كتب الحديث الشريف وهو كتاب صحيح الإمام البخاري، والذي تناوله وشرح عنه العلامة القاضي الإمام الدماميني؛ حيث كان الإمام البخاري له النصيب الأكبر من هذا العلم، وكتابه الجامع الصحيح أصح ما جمع وكتب، باتفاق العلماء، وهو أصح كتاب بعد

---

[1] القرآن الكريم: سورة الحشر,7.



القرآن الكريم، ويتناول الباب الأول من المجلد الأول بيان وشرح باب الإيمان في كتاب مصابيح الجامع علي شرح صحيح البخاري وبيان بعض المسائل الفقهية والعقدية واللغوية وغيرها في باب الإيمان، وسوف نبدأ بتناول نبذة عن الإمام الدماميني رحمه الله.

المبحث الأول: نبذة عن حياة العلامة الدماميني وعصره

الإمام الدماميني هو: العلّامة، المتفنن، الفقيه، الأديب، الشاعر، النحْوي، اللغوي، القاضي محمّد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر محمّد بن سليمان ابن جعفر بن يحيى بن حسين بن محمّد بن أحمد بن أبي بكر بن يوسف بن علي بن صالح بن إبراهيم ، بدر الدين المخزومي، السَّكندري، المالكي، المعروف بالدماميني، وبابن الدماميني، سبط الإمام ناصر الدين بن المنيِّر[2].

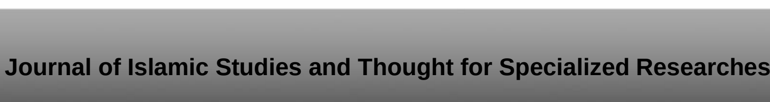
ولد الإمام الدماميني سنة ثلاث وستين وسبع مئة بالإسكندرية، وسمع بها من عم أبيه الشّيخ عبد الله بن أبي بكر المعروف بالبهاء بن الدماميني، وعبد الوهّاب القروي، وغيرهما، فمهر في العربيّة والأدب، وشارك في الفقه وغيره؛ لسرعة إدراكه، وقوة حافظته، ودرس بالإسكندرية في عدة مدارس، واستنابة صهره القاضي ناصر الدين بن التنسي في الحكم بها ، ومن شيوخه، شيخ الإسلام، جلال الدين البُلقيني، والمؤرخ، ابن خلدون، شيخ الإسلام، سراج الدين بن الملقِّن، وشيخ الإسلام بالمغرب ابن عرفة.

هو الإمام المحقق، والنحوي المدقق، القاضي بدر الدين الدماميني المتوفي سنة (827هـ)، من أولئك الأئمة الذين خاضوا غمار هذا الصحيح وولجوا أغواره، مبرزين درره وثماره ، سالكاً فيه مسلك الاختصار، مؤثرا التعليق والإيجاز في الحديث على البسط والإكثار ، علق فيه على أكثر من ثلاثة آلاف حديث من الصحيح بعبارة حسنة وقول فصيح اشتملت على بيان لفظ غريب، وإعراب مشكل، وضبط راوٍ يخشى في لفظ ورسم اسمه التحريف، وفي ضبطه التصحيف ، وبيان الأعلام المبهمة ، الى غير ذلك من المباحث اللغوية والنحوية الأنيقة والتحقيقات الفقهية والأصولية الدقيقة[3]؛ ومن

---

[2] السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 7: 184.

[3] مصابيح الجامع وهو شرح الجامع الصحيح للإمام البخاري المشتمل على بيان تراجمه وأبوابه وغريبه وإعرابه ، للإمام القاضي بدر الدين الدماميني المالكي، تحقيق: نور الدين طالب، اصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بيروت: دار النوادر، 2009م، 1 : 7.



تصانيفه: " تحفة الغريب": في النحو، وهو حاشية على "مغني اللبيب" لابن هشام الأنصاري ، و"تعليق الفوائد على تسهيل الفوائد" لابن مالك، و جواهر البحور"، وهي قصيدة في العروض، و"العيون الغامزة على خبايا الرامزة"، وهو شرح القصيدة الخزرجية المعروفة بالرامزة، و"مصابيح الجامع" وغيرها؛؛؛ توفي الإمام بدر الدين الدماميني – رحمه الله تعالى، بمدينة "كَلبرجَا" أو "كَلبركَا" في الهند في شهر شعبان عن نحو سبعين عامًا، سنة (827 هـ) [4].

المبحث الثاني: تعريف الإيمان لغةً واصطلاحًا

يتناول هذا المبحث مفهوم معني الإيمان لغةً واصطلاحًا من خلال استعراض أفضل, ما قيل في هذا الموضع, مدعمين كلامنا بالأدلة الشرعية من خلال القرآن الكريم، والسنة النبوية المشرفة، وبالأدلة العقلية والنقلية كذلك، وبما قاله الصحابة الكرام والتابعين الفضلاء، وبما صدر عن ثُلةٌ من العلماء المتقدمين الأولين، وثُلةٌ من العلماء المتأخرين؛ وأصح وأفضل الأقوال في تعريف أصول ومفهوم الإيمان؛ وما قاله الإمام الدماميني في شرح الصحيح للبخاري في كتابه المصابيح باب الإيمان .

الإيمان لُغةً: من كلمة إيمَان: وهي (اسم) وإيمَان : مصدر آمَن؛ يومنُ إيمانًا و مصدر أَيمَنَ إيمان: وآمَنَ، دَخَلَ الإيمَانُ إلَى قَلْبِهِ : الاعْتِقَادُ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، قال تعالي: (الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ والإيمانَ) ([5])، أي لاَ شَيْءَ يُزَعْزِعُ إيمَانَهُ والإيمانُ بمعني: التَّصدِيق، وأيمنَ يُومن، إيمانًا، فهو مُومِن، آمَنْتُ، أُؤْمِنُ، آمِنْ، مصدر إيمَانٌ فهو مُؤمِن، والمفعول مُؤمَن، آمَن إيمَاناً : صَار ذا أَمْن، وآمَنَ بِهِ : وَثِقَ بِهِ وَصَدَّقَهُ آمَنْتُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، آمَنَ لَهُ : نْقَادَ لَهُ وأَطَاعَهُ([6]). آمن بالله: أسلم له وانقاد وأذعن؛ ويري الباحث من خلال الدراسة والتمحيص والبحث أن الإيمان لهُ عّدِة تعريفات: فقيل: هو التصديق، وقيل: هو الثقة، وقيل: هو الطمأنينة، وقيل: هو قولٌ وإقرارٌ باللسان والايمان بالجنان، أي بالقلب، وتطبيق ذلك بعمل الصالحات؛ وأن منبع كلمة الإيمان تُشتق من لفظ الجلالة من أسماء الله عز وجل الحسني (المؤمن): ومنها يشتق معني الأمن، فمن آمن فقد أمِن واطمأن؛ يعني ليس من طريق إلى أن تكون آمناً, مطمئناً, متوازناً, راضياً, ذاكراً لقول الله عز

---

[4] الدماميني، *مصابيح الجامع*، 1: 7.

[5] القرآن الكريم: (سورة الروم: آية 56).

[6] المعجم الوسيط: " المؤلف: مجمع اللغة العربية: الناشر: مكتبة الشروق الدولية، سنة النشر: 2004، عدد المجلدات: 4، رقم الطبعة: الأولي: المجلد : الثاني، ص:72 .



وجل،:﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ([7])، واتَّفق أهلُ العلمِ مِن اللُّغويين وَغيرِهِم : أنَّ الإيمانَ مَعناهُ التَّصديقُ، قَال الله تَعالى: "قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ "([8])، وَنَقَلَ الإمامُ مُحمَّد بن نَصر المروزيّ عن طائفةٍ مِن أهلِ السُّنةِ :(والإيمانُ في اللغةِ : هوَ التصديقُ ،وَمَعنى التَّصديق : هُوَ المعرفةُ باللهِ والاعترافُ لَهُ بالربوبيةِ بِوَعدهِ ووعيدهِ وَوَاجِبِ حَقِّهِ وَتَحقيقِ مَا صَدَّقَ بِهِ مِن القَولِ والعَمَلِ([9])، وأمَّا الشيخُ الألبانيُّ رحمه الله، لَم يَخرُج في تَعريفِهِ للإيمانِ لُغةً عَن تَعريفِ السَّلف، بَل تَبِعَ السَّلَفَ على هذا التَّعريفِ، فَقَالَ:(إنَّ الإيمانَ لغةً بمعنى التصديق، وهذا ما تَدُلُّ عَلَيهِ لُغَةُ القُرآنِ([10]).

يقول الإمام العلامة الدماميني رحمه الله في كتابه مصابيح الجامع: وقول النبي صلى الله عليه وسلم بني الإسلام علي خمس: قولٌ وفعل، ويزيد وينقص([11])، قال تعالى: (وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا) ([12])، وقد اردف الإمام الدماميني الكثير من الآيات التي تدل علي الإيمان.

والرأي الراجح في تعريف الإيمان من خلال ما يناه آنفاً، ما قاله الإمام البخاري رحمه الله عن الإيمان في كتابهِ صحيح البخاري قائلاً:" كتبتُ الحديث عن ألف، وثمانين رجلاً ما فيهم إلا صاحب حديث كُلهم يقول: الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص"([13])، وله في لغة العرب استعمالان: فتارة يتعدى بنفسه فيكون معناه التأمين أي إعطاء الأمان، وآمنته ضد أخفته، وفي الكتاب العزيز: "الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ"([14])، فالأمن ضد الخوف؛ ثم قال: وَرُوِيَ عَنْهُ فِي حَدِيثٍ مَوْصُولٍ بِإِسْنَادٍ غَيْرِ قَوِيٍّ أَنَّهُ قَالَ :«إِنَّ مَثَلَ أَصْحَابِي كَمَثَلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ؛ مَنْ أَخَذَ بِنَجْمٍ مِنْهَا

---

[7] القرآن الكريم: (سورة الرعد: الآية: 28).

[8] القرآن الكريم: (سورة الحجرات: الآية: 14)..

[9] ينظر : لسان العرب لابن منظور مادة(أمن)23/13 و مادة (سلم) 293/12 –

[10] مجموع الفتاوى لابن تيمية 239/5.

[11] مصابيح الجامع وهو شرح الجامع الصحيح للإمام البخاري المشتمل على بيان تراجمه وأبوابه وغريبه وإعرابه ، للإمام القاضي بدر الدين الدماميني المالكي، تحقيق: نور الدين طالب، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بيروت: دار النوادر، المجلد الأول – باب الإيمان 2009م، ص: 86

[12] سورة الفتح: الآية: 4.

[13] صحيح البخاري: " الإمام أبي عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري المتوفي سنة: 256هـ،كتاب صحيح الإمام البخاري: طباعة سنة: 2008م، 1429هـ ، ترقيم وترتيب: الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، تقديم : أحمد محمد شاكر؛ الناشر: مكتبة ألفا للتجارة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولي، الجيزة، مصر، ص:7.

[14] القرآن الكريم: (سورة قريش:1-4).



اهْتَدَى» وَالَّذِي رُوِّينَاهُ هَا هُنَا مِنَ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ والحديث حسن السند صحيح المعنى([15])، وقال ابن الأثير عن الإيمان: (في أسماء الله تعالى المؤمن وهو الذي يصدق عباده وعده فهو من الإيمان التصديق، أو يؤمنهم في القيامة عذابه، فهو من الأمان ضد الخوف)، وتارة يتعدى بالباء أو الكلام فيكون معناه التصديق. وفى التنزيل: وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ) ([16])، أي بمصدق، آمنت، أي صدقت. والأصل في الإيمان الدخول في صدق الأمانة التي ائتمنه الله عليها، فإذا اعتقد التصديق بقلبه كما صدق بلسانه فقد أدى الأمانة، وهو مؤمن، ومن لم يعتقد التصديق بقلبه فهو غير مؤد للأمانة التي ائتمنه الله عليها، وهو منافق؛ وأما قوله عز وجل: (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا) ([17])، والمقصود حسب ما يري الباحث أن الأمانة في الآية تعني النية التي يعتمدها الإنسان فيما يظهره باللسان من الإيمان، ويؤديه من جميع الفرائض في الظاهر([18])، لأن الله عز وجل ائتمنه عليها ولم يظهر عليها أحداً من خلقه، فمن أضمر التوحيد والتصديق مثل ما أظهر فقد أدى الأمانة، ومن أضمر التكذيب، وهو مصدق باللسان في الظاهر فقد حمل الأمانة ولم يؤدي حقها، وقوله عز وجل: يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ([19])، وقال ثعلب: يصدق الله ويصدق المؤمنين. ومنه قوله عز وجل: قُولُواْ آمَنَّا بِاللهِ([20])، وقوله تعالي: "أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ" ([21])، ويفهم من الكلام السابق، أن التصديق كما يكون بالقلب واللسان يكون بالجوارح أيضاً، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: (والفرج يصدق ذلك أو يكذبه) ([22])؛ وخُلاصة الحديث أن أكثر أهل العلم يقولون: الإيمان في اللغة هو: التصديق، ولكن الباحث يري أن هذا الأمر فيه توقف للتأمل والبحث! لأن كلمة الإيمان إذا كانت بمعنى الكلمة فإنها تتعدى بتعديها، ومعلوم أن التصديق يتعدى بنفسه، والإيمان لا يتعدى

---

15 صحيح مسلم: يحيي بن شرف أبو زكريا النووي، كتاب صحيح الإمام مسلم؛ دار الخير سنة النشر: 1416هـ / 1996م ، رقم الطبعة:2عدد الأجزاء: ستة أجزاء شرح النووي على مسلم، فضائل الصحابة: الحاشية رقم 1- "رقم الحديث: (2531)، ص: 66 ؛ ضعفه الألباني - أخرجه أحمد (398/4 ، رقم 19584) ، ومسلم (1961/4 ، رقم 2531) . وأخرجه أيضًا : البزار (104/8 ، رقم 3102) ، وابن حبان (234/16 ، رقم 7249)قال الإمام النَّووي في "شرح صحيح مسلم" الحديث الشريف: لإمام مسلم رحمه الله في صحيحه(1961/4).

16 القرآن الكريم: سورة يوسف:17.

17 القرآن الكريم: سورة الأحزاب:72.

18 موقع ملتقي أهل الحديث- الشبكة العنكبوتية - الإنترنت – 27 مايو 2016م- 20 شعبان-1437هـ.

19 القرآن الكريم: (سورة التوبة: 61).

20 القرآن الكريم: سورة البقرة:136.

21 القرآن الكريم: (سورة البقرة:75).

22 صحيح البخاري: فتح الباري شرح صحيح البخاري، حمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث، سنة النشر: 1407هـ / 1986م ، ط2، عدد الأجزاء: ثلاثة عشر جزءًا : رقم الحديث: 5889، باب الاستئذان من أجل البصر : الحاشية رقم 1.



بنفسه؛ فنقول مثلاً: صدقته، ولا تقول آمنته! بل تقول: آمنت به، أو آمنت له. فلا يمكن أن نفسر فعلاً لازماً لا يتعدى إلا بحرف الجر بفعل متعد ينصب المفعول به بنفسه، ثم إن كلمة (صدقت) لا تعطي معنى كلمة (آمنت) فإن (آمنت) تدل على طمأنينة بخبره أكثر من (صدقت)، ولذلك يري الباحث أن المعني الأقرب للمنطق وأفضل تفسير:(الإيمان) أي (الإقرار) ؛ فنقول: الإيمان: الإقرار، ولا إقرار إلا بالتصديق، فتقول أقر به، كما تقول: آمن به، وأقر له كما تقول: آمن له)، وهذا أغلب رأي أهل السنة والجماعة، والإقرار قولٌ وعمل، "قول باللسان، وفعل بالجوارح والجنان، فأطلق علي اعتقاد القلب فعلاً، ويزيد وينقص أي الإيمان"([23]).

وفي نهاية ما سبق يتبين أن أقرب معنى في اللغة للإيمان هو: هو الإقرار القلبي: وعادةً ما يكون الإقرار: باعتقاد القلب وعملهِ: أي تصديقه بالأخبار، أي إذعانه وانقياده للأوامر. أقر أي صدق، والصديق بوزن السكيت: الدائم التصديق، ويكون الذي يصدق قوله بالعمل؛ لأن الله عز وجل يقول:﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾([24]). ويري الباحث من التعريف اللغوي أن الإيمان مشتق من كلمة المؤمن ومنها الأمانة والأمن والإيمان، ومنها الإذعان والتصديق والطاعة والثقة؛ وسيعرج البحث الأن لتعريف مفهوم الإيمان شرعًا، لأن التعريف الشرعي يوضح المفهوم المراد للإيمان بصورة أكثر وضوحًا، على ضوء ما سيقدم من أدلة تؤدي إلي لإيضاح وتفسير المعني الاصطلاحي.

الإيمان في الاصطلاح الشرعي هو: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، فهذه الأمور الستة هي التي عليها مدار النفس وتفكيرها، في حاضرها وفي المستقبل؛ يقول الإمام الدماميني رحمه الله: "وإن للإيمان فرائض وشرائع وحدودًا وسننًا، فمن استكملها فقد استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان"([25])، ويعرف الإيمان كذلك في الاصطلاح: هُوَ قَولُ اللِّسانِ، وَعَمَلُ الجوارِحِ، وَتَصديقُ القَلبِ، وَقَد اختَلفت

---

[23] مصابيح الجامع وهو شرح الجامع الصحيح للإمام البخاري المشتمل على بيان تراجمه وأبوابه وغريبه وإعرابه ، للإمام القاضي بدر الدين الدماميني المالكي، تحقيق: نور الدين طالب، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بيروت: دار النوادر، المجلد الأول – باب الإيمان 2009م، ص: 87

[24] القرآن الكريم: سورة طه:124.

[25] مصابيح الجامع: وهو شرح الجامع الصحيح للإمام البخاري المشتمل على بيان تراجمه وأبوابه وغريبه وإعرابه ، للإمام القاضي بدر الدين الدماميني المالكي، تحقيق: نور الدين طالب، اصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بيروت: دار النوادر، المجلد الأول – باب الإيمان 2009م، ص: 86



عِباراتُ السَّلفِ في تَفسيرِ الإيمانِ وَتَباينتْ، وَلكنَّها جَميعاً تَرجِعُ إلى مَعنىً واحدٍ أو مَعانٍ مُتَقاربةٍ كما قَالَ شَيخُ الإسلامِ ابن تيميَّة : "وأجمعَ السَّلفُ أنَّ الإيمانَ قَولٌ وَعَملٌ، يَزيدُ وَيَنقصُ، وَمَعنى ذلكَ أنَّهُ قَولُ القَلبِ وَعَملُ القَلبِ، ثمَّ قَولُ اللِّسانِ وَعَملُ الجوارحِ، فأمَّا قَولُ القَلبِ فَهوَ التَّصديقُ الجازِمُ باللهِ وملائكتِهِ وَكتُبهِ وَرُسلهِ واليومِ الآخرِ، وَيَدخُلُ فِيهِ الإيمانُ بِكُلِّ ما جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ"([26]).

ومما سبق يتبين أن هذا الأمر يستلزم، أن الإيمانَ وَاجِبٌ على جَميعِ الخَلقِ، وَهوَ الإذعان والتَصديقٌ بالقَلبِ، والإقرارٌ باللسانِ، وَالعَمَلٌ بالجوارحِ والأركان؛ وَهذا هو تَعريفِ الإيمانِ الذي عليهِ مَذهب عامَّةِ السَّلف؛ ومِنهُم على سَبيلِ المثال: الأئمةُ :مالك والشافعيّ وأحمد، والإمام البُخاري، ومجاهد والحسن البصري، وعطاء، وعبيدِ الله بن عمر، والاوزاعيّ، والثوري، وابن المبارك، والنخعيِّ، وبن عيينه، وبن راهويه، وأهل المدينةِ وأهل الظاهرِ وَعامَّة عُلماءِ السنةِ؛ بحسب ما اطلع عليه الباحث في الكثير من المراجع والكتب والمواقع الإلكترونية على شبكة الإنترنت، وعلى المدونات والأبحاث وكتب التفسير والحديث؛ ولأهمية ذلك للبحث سنبحث في أقول الفقهاء والعلماء عن الإيمان في الاصطلاح بإسهاب؛ بحيث يقول شيخُ الإسلامِ ابن تيميَّة إنَّ من قَالَ من السَّلفِ : الإيمانُ قولٌ وعملٌ، أرادَ قَولَ القَلبِ واللسانِ وَعَملَ القَلبِ والجوارحِ، وَمَن أرادَ الاعتقادَ رأى أنَّ لَفظَ القولِ لا يُفهَمُ مِنهُ إلا القولُ الظَّاهرُ، أو خَافَ ذلكَ فزَادَ الاعتقادَ بالقلبِ، وَمَن قَالَ : قَولٌ وعَملٌ ونيَّةٌ ، قَال : القَولُ يتناولُ الاعتقادَ وَقولَ اللِّسانِ، وأمَّا العَمَلُ فَقَد لا يُفهمُ مِنه النيَّة فزادَ ذلكَ، وَمَن زادَ اتِّباع السُّنة فلأنَّ ذلكَ كلَّهُ لا يَكونُ مَحبوباً لله إلا باتِّباعِ السُّنةِ، وأولئك لم يُريدوا كلَّ قَولٍ وَعَملٍ، إنما أرادوا مَا كَانَ مَشروعاً مِن الأقوالِ والأعمالِ، وَلكن كَانَ مقصدهم الردُّ على المرجِئَةِ الذين جَعَلوهُ قَولاً فَقَط، فَقالوا: بَل هُوَ قَولٌ وعَمَلٌ، والذينَ جَعَلوهُ أربعةَ أقسامٍ فَسَّروا مُرادَهُم؛ ولما سُئلَ سهلُ التستريّ عنِ الإيمانِ قالَ: قَولٌ وَعَمَلٌ وَنيَّةٌ وَسُنَّةٌ، لأنَّ الإيمانَ إذا كانَ قَولاً بِلا عَمَلٍ فَهوَ كُفرٌ، وإذا كَانَ قَولاً وَعَمَلاً بِلا نيَّةٍ فَهوَ نِفاقٌ، وإذا كَانَ قَولاً وَعَمَلاً وَنيةً بِلا سُنَّةٍ فَهُوَ بِدعَةٌ([27])؛ و الإيمان حسب الدماميني يزيد وينقص، وهو قابل لِلشّدة والضعف([28]).

[26] كتاب مجموع الفتاوى: لابن تيمية، رقم : 239/5.

[27] كتاب مجموع الفتاوى: لابن تيمية، رقم : 239/5.

[28] مصابيح الجامع: وهو شرح الجامع الصحيح للإمام البخاري المشتمل على بيان تراجمه وأبوابه وغريبه وإعرابه ، للإمام القاضي بدر الدين الدماميني المالكي، تحقيق: نور الدين طالب، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بيروت: دار النوادر، المجلد الأول – باب الإيمان 2009م، ص: 86



وكان الإجماع من الصحابة، والتابعين من بعدهم ممن أدركنا: أن الإيمان قول وعمل ونية لا يجزئ واحد من الثلاثة عن الآخر ولا فرق بين قولهم: إن الإيمان قول وعمل، أو قول وعمل ونية، أو قول وعمل واعتقاد. فكل ذلك من باب اختلاف التنوع، فمن قال من السلف: إن الإيمان قول وعمل أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح.

ومما تقدم يتبين صحة ما وضحه الإمام الدماميني رحمه الله في كتابه: مصابيح الجامع في باب الإيمان من أنهُ هناك علاقة بين المعنى اللغوي والشرعي لمفهوم كلمة الإيمان– فعرفنا أن من معاني الإيمان في اللغة الإذعان والتصديق، وأن التصديق يكون بالقلب واللسان والجوارح، وأما الإيمان في الشرع، عبارة عن تصديق مخصوص، وهو ما يسمى عند السلف، بقول القلب، وهو تصديق النبي صلى الله عليه وسلم "بما علم مجيئه بالضرورة"([29])، وهذا التصديق لا ينفع وحده، بل يحتاج معه من الانقياد والاستسلام والخضوع، وهو ما يسمى بعمل القلب ويلزم من ذلك قول اللسان، وعمل الجوارح، وهذه الأجزاء مترابطة، لا غنى لواحدة منها عن الأخرى ومن آمن بالله عز وجل، فقد أمن من عذابه في الأخرة ([30]، فالمنهج الصحيح إذن لفهم الألفاظ الشرعية هو أن نتلقى تفسيرهم وفهم السلف لمعاني هذه الألفاظ أولاً، ثم نضبط بهذا الفهم ألفاظ النصوص، وليس العكس، ولكن قوماً خرجوا على هذا المنهج، وعدلوا عن معرفة كلام الله ورسوله، وأخذوا يتكلمون في المسميات الشرعية بطرق مبتدعة ومقدمات لغوية وعقلية مظنونة، فقالوا: إن الإيمان لا تدخل فيه الأعمال وإنما هو التصديق المجرد؛ فخالفوا بذلك كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع السلف، وقد بنوا قولهم هذا على مقدمتين مظنونتين ([31])؛ أما المقدمة الأولى: قولهم إن الإيمان في اللغة هو التصديق، والرسول إنما خاطب الناس بلغة العرب لم يغيرها، فيكون مراده بالإيمان التصديق المقدمة الثانية: قولهم إن التصديق إنما يكون بالقلب واللسان، أو بالقلب، فالأعمال ليست من الإيمان، وقد تصدى علماء السنة والجماعة لهؤلاء القوم، فردوا عليهم قولهم،

---

[29] مصابيح الجامع: وهو شرح الجامع الصحيح للإمام البخاري المشتمل على بيان تراجمه وأبوابه وغريبه وإعرابه ، للإمام القاضي بدر الدين الدماميني المالكي، تحقيق: نور الدين طالب، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بيروت: دار النوادر، المجلد الأول – باب الإيمان 2009م، ص: 84

[30] مصابيح الجامع: وهو شرح الجامع الصحيح للإمام البخاري المشتمل على بيان تراجمه وأبوابه وغريبه وإعرابه ، للإمام القاضي بدر الدين الدماميني المالكي، تحقيق: نور الدين طالب، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بيروت: دار النوادر، المجلد الأول – باب الإيمان 2009م، ص: 86

[31] مصابيح الجامع: وهو شرح الجامع الصحيح للإمام البخاري المشتمل على بيان تراجمه وأبوابه وغريبه وإعرابه ، للإمام القاضي بدر الدين الدماميني المالكي، تحقيق: نور الدين طالب، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بيروت: دار النوادر، المجلد الأول – باب الإيمان 2009م، ص: 87



ودحضوا شبهاتهم، وكشفوا زيغهم وضلالهم ويتلخص الرد على أصحاب هذا الاتجاه من خلال استعراض أصول ثلاثة:
الأصل الأول: إن أهل اللغة لم يثبت عنهم أن الإيمان قبل نزول القرآن هو التصديق: أما عن الأصل الأول فنقول: إن أهل اللغة، إما يقصد بهم المتكلمون باللغة قبل الإسلام، فهؤلاء لم نشهدهم ولا نقل لنا أحد عنهم أن الإيمان عندهم قبل نزول القرآن هو التصديق، فمن يزعم أنهم لم يعرفوا في اللغة إيماناً غير ذلك من أين لهم هذا النفي الذي لا تمكن الإحاطة به! إن الألفاظ لا ينطق بها ولا تستعمل إلا مقيدة، إذ لا يوجد في الكلام حال إطلاق محض للألفاظ، بل الذهن يفهم من اللفظ في كل موضع ما يدل عليه اللفظ في ذلك الموضع، وكذلك لفظ الزكاة، بيّن النبي صلى الله عليه وسلم مقدار الواجب، وسماها الزكاة المفروضة، فصار لفظ الزكاة إذا عرف باللام ينصرف إليها لأجل العهد، ولفظ الإيمان أمر به مقيداً بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وكذلك لفظ الإسلام بالاستسلام لله رب العالمين، وكذلك لفظ الكفر مقيداً، فخطاب الله ورسوله للناس بهذه الأسماء، كخطاب الناس بغيرها، وهو خطاب مقيد خاص لا مطلق يحتمل أنواعاً، وقد بين الرسول تلك الخصائص، والاسم دل عليها، فلا يقال إنها منقولة، ولا إنه زيد في الحكم دون الاسم، بل الاسم إنما استعمل على وجه يختص بمراد الشارع، لم يستعمل مطلقاً، وهو إنما قال: (أقيموا الصلاة) بعد أن عرفهم الصلاة المأمور بها، فكان التعريف منصرفاً إلى الصلاة التي يعرفونها، لم ينزل لفظ الصلاة وهم لا يعرفون معناه، وكذلك الإيمان والإسلام وقد كان معنى ذلك عندهم من أظهر الأمور([32])، فالواجب أن يعرف اللغة والعادة والعرف الذي نزل في القرآن والسنة، وما كان الصحابة يفهمون من الرسول عند سماع تلك الألفاظ، فبتلك اللغة والعادة والعرف خاطبهم الله ورسوله([33]).

المبحث الثالث: زيادة الإيمان ونقصانه.

في بداية المبحث الثاني في هذا الباب يترجح ما يراه جُل أهل السنة والجماعة والصحابة الكرام والتابعين رضي الله عنهم جميعًا وغالبيتهم يرون أن الإيمان يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي؛ وسنأتي بالتفصيل على حقيقة الإيمان

---

[32] علوي بن عبد القادر السقاف– كتاب: ملخص فقه العبادات (الطهارة، الصلاة)، الناشر: مؤسسة دار الدرر السنية، الظهران– المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولي، سنة الطبع: 1437هـ، 2016م، باب الإيمان، والصلاة والصوم، ص: 134.

[33] مرجع سابق: علوي بن عبد القادر السقاف– كتاب: ملخص فقه العبادات ، الناشر: مؤسسة دار الدرر السنية، الظهران– المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولي، سنة الطبع: 1437هـ، 2016م، باب الإيمان، والصلاة والصوم، ص: 135.



هل يزيد أم ينقص وما قيل من كلام من الكثير من العلماء والفرق والجماعات والأئمة كما سيأتي ذكره. هناك أربعة أمور فيها قواسم مشتركة يتفق عليها الكثير من العلماء وتتركب منها حقيقة زيادة الإيمان ونقصانهُ:

أولاً: **قول القلب**: هو معرفته للحق، واعتقاده، وتصديقه، وإقراره، وإيقانه به؛ وهو ما عقد عليه القلب، وتمسك به، ولم يتردد فيه، قال عز وجل: (ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) [34]، وقال تعالى: (ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم) [35]، وقال أيضاً: (كتب في قلوبهم الإيمان) [36]، وقال أيضاً: (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) [37]، وقال – صلى الله عليه وسلم: " يا معشر من آمن بلسان، ولم يدخل الإيمان إلى قلبه"[38]؛ إلى غير ذلك من الأدلة الصريحة في أن إيمان القلب شرط في الإيمان، ولا يصح الإيمان بدونه، وأنه إذا وجد سرى ذلك إلى الجوارح ولابد، ويقول الإمام المروزي – رحمه الله :(أصل الإيمان التصديق بالله، وبما جاء من عنده، وعنه يكون الخضوع لله لأنه إذا صدق بالله خضع له، وإذا خضع أطاع.. ومعنى التصديق هو المعرفة بالله، والاعتراف له بالربوبية، بوعده، ووعيده، وواجب حقه، وتحقيق ما صدق به من القول والعمل[39]، ومن التصديق بالله يكون الخضوع لله، وعن الخضوع تكون الطاعات، فأول ما يكون عن خضوع القلب لله الذي أوجبه التصديق من عمل الجوارح والإقرار باللسان)، والمعرفة التي هي إيمان، هي معرفة تعظيم الله، وجلاله، وهيبته، فإذا كان كذلك، فهو المصدق الذي لا يجد محيصاً عن الإجلال، والخضوع لله بالربوبية، فبذلك ثبت أن الإيمان يوجب الإجلال لله، والتعظيم له، والخوف منه، والتسارع إليه بالطاعة على قدر ما وجب في القلب من عظيم المعرفة) ويقول: (أصل الإيمان هو التصديق، وعنه يكون الخضوع، فلا يكون مصدقاً إلا

---

34 (سورة الحجرات: الآية:14)

35 (سورة الحجرات: الآية:7)

36 (سورة النحل: الآية:106)

37 (سورة النحل: الآية:106)

38 أخرجه الترمذي (2032) وابن حبان (5763) والبغوي في شرح السنة (3526) من طريق الحسين بن واقد عن أوفى بن دلهم عن نافع عن ابن عمر بنحوه. وهذا الحديث ضعيف؛ أخرجه أبو داود (4880) وأحمد (4/420-421) وابن أبي الدنيا في الصمت (167) وفي الغيبة (29) وأبو يعلى (7386-7387) والبيهقي (10/247) وفي الآداب (152) من طُرق عن أبي بكر بن عياش، وأحمد (4/424) من طريق قطبة بن عبد العزيز الأسدي، وابن أبي الدنيا في الصمت (169).

39 محمد بن نصر بن حجاج المروزي كنيته: أبو عبد الله المَرْوَزِي. خرج منها جماعة كثيرة قديما وحديثا من أهل العلم والحديث. ، وهو كان أمير خراسان وصاحب الجيوش بها زمن عثمان؛ أحد من استبحر في علمي الفقه والحديث... وهو صاحب اختيار، وربما تذرع متذرع بكثرة اختياراته المخالفة لمذهب الشافعي إلى الإنكار على الجماعة العادين له في أصحابنا، وليس الأمر كذلك، لأنه في هذا بمنزلة ابن خزيمة، والمزني، وأبي ثور قبله، وغيرهم. فلقد كثرت اختياراتهم المخالفة لمذهب الشافعي، ثم لم يخرجهم ذلك عن أن يكونوا في قبيل أصحاب الشافعي معدودين، وبوصف الاعتزاء إليه موصوفين.



خاضعاً، ولا خاضعاً إلا مصدقاً، وعنهما تكون الأعمال[40]، يتبن لنا مما سبق أن العلم والمعرفة والتصديق (أي قول القلب)، إن لم يصحبها الانقياد والاستسلام والخضوع، (أي عمل القلب والجوارح) لم يكن المرء مؤمناً، بل تصديق هذا شر من عدمه؛ لأنه ترك الانقياد مع علمه ومعرفته، والدليل على أن التصديق والمعرفة فقط لا تنفع صاحبها وصف الله به إبليس بقوله: (خلقتني من نار) [41]،وقوله: (فبعزتك لأغوينهم أجمعين) [42]، فأخبر أنه قد عرف أن الله خلقه، ولم يخضع لأمره فيسجد لآدم كما أمره، فلم ينفعه معرفته إذ زايله الخضوع؛ والدليل على ذلك أيضاً شهادة الله على قلوب بعض اليهود أنهم يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم، وما أنزل إليهم كما يعرفون أبناءهم، فلا أحد أصدق شهادة على ما في قلوبهم من الله، إذ يقول لنبيه: (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) [43]، وقال الله عز وجل: (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) [44]، وقال تعالي: (ليكتمون الحق وهم يعلمون) [45] فشهد على قلوبهم وهم اليهود أهل الكتاب بأنها عارفة عالمة بالنبي – صلى الله عليه وسلم – مكتوب عندهم بالتوراة أنْ لَيس لَهم كتمانه, فيتعمَّدون معصية الله تبارك وتعالى، يكتمون محمدًا صلى الله عليه وسلم وهم يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل[46]، ومن المعلوم أن بعض السلف يطلق اسم التصديق أو اعتقاد القلب ويقصد به قول القلب وعمله جميعاً، أو عمل القلب وحده. يقول الإمام أحمد – رحمه الله –:[47]، " وأما من زعم أن الإيمان الإقرار، فما يقول في المعرفة؟ هل يحتاج إلى المعرفة مع الإقرار؟ وهل يحتاج أن يكون مصدقاً بما عرف؟ فإن زعم أنه يحتاج على المعرفة مع الإقرار، فقد زعم أنه من شيئين، وإن زعم أنه يحتاج أن يكون مقرا ومصدقا بما عرف، فهو من ثلاثة أشياء، وإن جحد وقال: لا يحتاج إلى المعرفة والتصديق فقد قال قولاً عظيماً" ويري الباحث من خلال كلام الإمام أحمد أنه يعني بالتصديق عمل القلب ويعني بالمعرفة قول القلب، أما الإقرار فقول اللسان [48]، وقال الإمام أبو ثور لما سئل عن الإيمان ما هو(فاعلم يرحمنا الله وإياك أن الإيمان تصديق

---

40 محمد بن نصر بن حجاج المروزي كنيته: أبو عبد الله المرْوَزِي. خرج منها جماعة كثيرة قديما وحديثا من أهل العلم والحديث. ، وهو كان أمير خراسان وصاحب الجيوش بها زمن عثمان؛ أحد من استبحر في علمي الفقه والحديث.

41 (الأعراف : الآية:12)

42 (ص : 80)

43 (سورة البقرة – الآية 89)

44 (سورة البقرة – الآية 146)

45 (سورة البقرة – الآية 146).

46 تفسير الطبري، مرجع سابق، سورة البقرة: الآية: 146، الجزء الثاني، ص: 24.

47 طبقات الحنابلة (1/ 416)؛كتاب المحنة ص (68)، والموسوعة العقدية: "حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة.

48 طبقات الحنابلة (1/ 416)؛كتاب المحنة ص (68)، والموسوعة العقدية: "حقيقة الإيمان عند أهل السنة.



بالقلب والقول باللسان وعمل بالجوارح، وذلك أنه ليس بين أهل العلم خلاف في رجل لو قال: أشهد أن الله عز وجل واحد، وأن ما جاءت به الرسل حق، وأقر بجميع الشرائع، ثم قال: ما عقد قلبي على شيء من هذا ولا أصدق به أنه ليس بمسلم ولو قال: المسيح هو الله، وجحد أمر الإسلام، قال لم يعتقد قلبي على شيء من ذلك أنه كافر بإظهار ذلك وليس بمؤمن، فلما لم يكن بالإقرار إذا لم يكن معه التصديق مؤمناً ولا بالتصديق إذا لم يكن معه الإقرار مؤمناً، حتى يكون مصدقاً بقلبه مقراً بلسانه فإذا كان تصديق بالقلب وإقرار باللسان كان عندهم مؤمناً [49]،وعند بعضهم لا يكون حتى يكون مع التصديق عمل، فيكون بهذه الأشياء إذا اجتمعت مؤمناً...) ثم رد على من أخرج العمل من الإيمان فالغالب أنه يقصد بالتصديق هنا (قول القلب وعمله) والله أعلم؛ ويقول ابن تيمية (وكذلك قول من قال: اعتقاد بالقلب، وقول باللسان وعمل بالجوارح، جعل القول والعمل اسماً لما يظهر، فاحتاج أن يضم إلى ذلك اعتقاد القلب[50]، ولا بد أن يدخل في قوله: اعتقاد القلب، أعمال القلب المقارنة لتصديقه، مثل حب الله، وخشية الله والتوكل عليه، ونحو ذلك، فإن دخول أعمال القلب في الإيمان أولى من دخول أعمال الجوارح باتفاق الطوائف كلها)، ويقول الإمام ابن القيم موضحاً ذلك: (ونحن نقول: الإيمان هو التصديق، ولكن ليس التصديق مجرد اعتقاد صدق المخبر دون الانقياد له، ولو كان مجرد اعتقاد التصديق إيماناً لكان إبليس وفرعون وقومه وقوم صالح واليهود الذين عرفوا أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم – كما يعرفون أبناءهم . ومما سبق يري الباحث على أن الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي والذنوب؛ ومثال ذلك ونحن في شهر رمضان المبارك نري كيف أن الإيمان يزيد ويرتفع عند كثير من المسلمين من خلال الصيام والصلاة في المساجد وصلاة التراويح وفعل الخيرات و أداء الصدقة وزيارة الأرحام، وينقص بمجرد انقضاء الشهر الفضيل مع نقصان عمل الخيرات والطاعات وعدم حضور الصلاة مع الجماعة في المسجد، وانتهاء الصيام؛ وإن زيادة الإيمان تنبع من أهمية الخضوع والاستسلام والانقياد أي: مع عمل القلب والجوارح، لأنها أساس دعوة الأنبياء والرسل، وأن قضيتهم مع أقوامهم دائماً ليست قضية المعرفة والعلم المجرد (أي قول القلب) قال تعالى: (فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون)[51]، وقال تعالى: (وجحدوا بها واستيقنتها

[49] م إبراهيم بن خالد ، الإمام الحافظ الحجة المجتهد ، مفتي العراق أبو ثور ، الكلبي البغدادي الفقيه، [ص: 73] ولد في حدود سنة سبعين ومائة . حمد بن أحمد بن عثمان الذهبي؛ الرسالة؛ سنة النشر: 1422هـ / 2001م ،ج:12.

[50] إبراهيم بن خالد ، الإمام الحافظ الحجة المجتهد ، مفتي العراق أبو ثور ، الكلبي البغدادي الفقيه ، ويكنى أيضا أبا عبد الله . [ص: 74] ولد سنة سبعين ومائة . حمد بن أحمد بن عثمان الذهبي؛ مؤسسة الرسالة؛ سنة النشر: 1422هـ / 2001م الجزء الثاني عشر.

[51] (سورة الأنعام – الآية 33).



أنفسهم ظلماً وعلواً)، فالكفار والمنافقون غالباً ما يقرون بالربوبية والرسالة ولكن الكبر والبغض وحب الرياسة والشهوات ونحوها تصدهم عن الطاعة والإخلاص والمتابعة (أي توحيد الألوهية) ومن ثم فلا ينفعهم ذلك، ولا ينجيهم من عذاب الله عز وجل في الآخرة، ومن أجل زيادة الإيمان يتوجب على الدعاة إلى الله عز وجل أن لا تقتصر دعوتهم بالاهتمام بتوحيد الربوبية فقط دون الدعوة إلى توحيد الألوهية، وإنما يكون اهتمامهم بالربوبية طريقاً ومنطلقاً لترسيخ وتثبيت توحيد الألوهية والعبودية، ومن ثم توحيد الأسماء والصفات، وتجسيد القول بعمل الصالحات والخيرات ليزيد الإيمان. **ثانيا**: **قول اللسان**: إقراره والتزامه. أي: النطق بالشهادتين، والإقرار بلوازمها. قال تعالى: { قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ }[52]وقال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ }[53]وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة" [54]؛ واتفق أهل السنة على أن النطق بالشهادتين شرط لصحة الإيمان ،يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (وقد اتفق المسلمون على أنه من لم يأت بالشهادتين فهو كافر) وقال أيضاً (فأما الشهادتان) إذا لم يتكلم بهما مع القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين، وهو كافر باطناً وظاهراً عند سلف الأمة وأئمتها وجماهير علمائها) [55] وقال أيضاً (إن الذي عليه الجماعة أن من لم يتكلم بالإيمان بلسانه من غير عذر لم ينفعه ما في قلبه من المعرفة، وأن القول من القادر عليه شرط في صحة الإيمان [56].

ثالثا: **عمل القلب**: وهو نيته وتسليمه، وإخلاصه، وإذعانه، وخضوعه، وانقياده، والتزامه، وإقباله إلى الله تعالى، وتوكله عليه – سبحانه – ورجاؤه، وخشيته، وتعظيمه، وحبه وإرادته، قال الله تعالى: { وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ

---

52 (سورة البقرة – الآية 136).

53 (سورة البقرة – الآية 136).

54 صحيح البخاري: لحديث 209 – المجلد 4، كتاب 52، عدد 41.

55 فتاوي ابن تيمية: كتاب الإيمان: ص:209 .

56 تقي الدين ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية الإمام، شيخ الإسلام. كتاب: مجموع فتاوى ابن تيمية: كتاب العقيدة– المجلد الأول.



وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ }وقال تعالى:{ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى {19} إِلَّا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى {20} وَلَسَوْفَ يَرْضَى }[57]، فمن لم يوجد في قلبه عمل القلب من أصل الخوف والرجاء والحب والتوكل فهو كافر بالاتفاق،وما زاد على أصل الخوف والحب والرجاء فهو ما بين واجب ومستحب؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب، ولابد فيه من شيئين: تصديق القلب وإقراره ومعرفته، ويقال لهذا: قول القلب، ...ثم قول البدن وعمله، ولا بد فيه من عمل القلب، مثل حب الله ورسوله، وإخلاص العمل لله وحده، وتوكل القلب على الله وحده، وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله وجعلها جزءاً من الإيمان ثم القلب هو الأصل، فإذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن ضرورة لا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم " ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب"؛ فإذا كان القلب صالحا بما فيه من الإيمان علماً وعملاً قلبياً لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر، والعمل بالإيمان المطلق، وكانت النتيجة زيادة الإيمان؛ ونختم بنص نفيس لابن القيم ــ رحمه الله ــ حيث يقول [58]،: كل مسألة علمية فإنه يتبعها إيمان القلب وتصديقه وحبه، وذلك عمل بل هو أصل العمل، وهذا مما غفل عنه كثير من المتكلمين في مسائل الإيمان، حيث ظنوا أنه مجرد التصديق دون الأعمال، وهذا من أقبح الغلط وأعظمه، فإن كثيراً من الكفار كانوا جازمين بصدق النبي صلى الله عليه وسلم في كل مسألة علمية غير شاكين فيه، غير أنه لم يقترن بذلك التصديق عمل القلب من حب ما جاء به والرضا وإرادته، والموالاة والمعاداة عليه، فلا تهمل هذا الموضوع فإنه مهم جداً[59]، به تعرف حقيقة الإيمان.

---

57 سورة الأنعام: الآية: 52.

58 شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز بن مكي زيد الدين الزُّرعي ثم الدمشقي الحنبلي الشهير بابن قيّم الجوزية من علماء المسلمين في القرن الثامن الهجري عاش في دمشق ودرس على يد ابن تيمية الدمشقي ولازمه الميلاد: ٢٨ يناير، ١٢٩٢، حوران، الأردن– الوفاة: ١٥ سبتمبر، ١٣٥٠، دمشق، سوريا. عنوان الكتاب: زاد المعاد في هدي خير العباد (ت: الأرناؤوط) المحقق: شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط– حالة الفهرسة: مفهرس فهرسة كاملة الناشر: مؤسسة الرسالة، سنة النشر: 1418 – 1998، عدد المجلدات: 6رقم الطبعة: 3، ص:123.

59 مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنبلي الشهير بابن قيّم الجوزية: مؤسسة الرسالة، سنة النشر: 1418 – 1998، عدد المجلدات: 6 – رقم الطبعة: 3، ص:123..



رابعاً:عمل الجوارح: أي فعل المأمورات والواجبات، وترك المنهيات والمحرمات. مثل الصلاة، والقيام، والركوع، والسجود، والصيام، والصدقات، والمشي في مرضاة الله تعالى؛ كنقل الخطأ إلى المساجد، والحج، والجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك من أعمال شعب الإيمان، قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ[60]،{وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ }[61].وقال تعالى: { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا {63}وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا }[62]، ومن الأدلة في القرآن الكريم على أن الأعمال جزء من الإيمان قال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[63] وقال تعالى: { التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ }[64]. وقال: { لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ }[65]وقد جعل الله عز وجل، الطاعات جميعها من الإيمان في أكثر من موضع في آيات القرآن الكريم، ومن ذلك قول الله عز وجل:{ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ } (لم يختلف المفسرون بأن الله أراد من {إِيمَانَكُمْ} [66]، المقصود بالإيمان في الآية؛ صلاتكم إلى بيت المقدس فسمى الصلاة إيماناً، ولو لم تكن جزءاً من الإيمان وركنا فيه؛ لما صح تسميتها به؛ فهذا دليل بين على أن العمل من الإيمان. وكذلك قرن الله عز وجل – الإيمان مع العمل في كثير من الآيات، وجعل جنة الخلد جزاءً لمن آمن وعمل صالحاً، وذلك مصداق قول الله جل جلاله : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً

60 سورة الحج :الآية: 77.

61 سورة آل عمران :الآية: 102.

62 سورة الفرقان :الآية: 63.

63 سورة التوبة :الآية: 72.

64 سورة التوبة :الآية: 112.

65 سورة البقرة :الآية: 177.

66 سورة البقرة :الآية: 143.



}[67]وقال: { وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }وقال: { وَالْعَصْرِ {1}إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ {2} إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ }[68]وهذه الآيات الكريمات البينات؛ كلها تدخل الأعمال الصالحة، وجميع الطاعات معها تحت مفهوم كلمة ومسمى الإيمان.

وأما عن الأدلة من السنة عن زيادة الإيمان أو نقصانه ما يلي:

1- هناك كثير عن زيادة الإيمان أو نقصانهِ، ومن تلك الأدلة الصريحة في ذلك حديث وفد عبد القيس وفيه قوله صلى الله عليه وسلم " أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَقَالَ هَلْ تَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَصَوْمُ رَمَضَانَ وَأَنْ تُؤَدُّوا خُمُسًا مِنْ الْمَغْنَمِ "[69]، ففي هذا الحديث بين وفسر ووضح الرسول صلى الله عليه وسلم للوفد الإيمان هنا بقول اللسان، وأعمال الجوارح (ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيماناً بالله بدون إيمان القلب، لما قد أخبر في مواضع أنه لابد من إيمان القلب، فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان، وأي دليل على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، وفسر الإيمان بالأعمال ولم يذكر التصديق مع العلم بأن هذه الأعمال لا تفيد مع الجحود.

2- ومن الأدلة أيضاً عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ الْخَمْرَ شَارِبُهَا حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَنْتَهِبُ مُنْتَهِبٌ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ" [70]، وما في معناه من الأحاديث في نفي الإيمان عمن ارتكب الكبائر وترك الواجبات والدليل: عن أَنَسِ بْنِ مَالِك رضي الله عنه قَالَ مَا خَطَبَنَا نَبِيُّ اللَّهِ إِلاَّ قَالَ:« لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ، وَلاَ دِينَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ لَهُ ».[71]، فلولا أن ترك هذه الكبائر من مسمى الإيمان لما انتفى اسم الإيمان عن مرتكب شيء

---

[67] سورة الكهف :الآية: 17.

[68] سورة العصر :الآية: 1-5.

[69] فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، حققة: محمد عبد الباقي، وأخرجه: محب الدين الخطيب دار الريان للتراث سنة النشر: 1407هـ / 1986م ،الطبعة الثانية، عدد الأجزاء: ثلاثة عشر جزءا.، الحاشية رقم 1- الجزء1- الصفحة/222.

[70] عبد الرحمن بن صخر: محمد بن إسماعيل البخاري كتاب صحيح البخاري، رقم الحديث: (6304) (6772) .

[71] سمير مراد: عمان الأردن: قال : هذا بحث أردت المشاركة به في بيان الحق فيما أظنه ، وقد كنت درَّستُهُ في مسجد السنة (القويسمة) بتاريخ 26/جماد الآخرة /1417 للهجرة ، بينت فيه حد الإيمان عند شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى؛ من خلال كتابه (الإيمان) الموجود ضمن مجموعة الفتاوى / المجلد السابع ، وقد طبع ذلك مستقلاً ، وكذلك من خلال بعض كتبه الأخرى مما هو عندي ، وبعض الكتب الأخرى لغيره من أهل العلم كالتمهيد لابن عبد البر، ولكني اقتصرت في هذه الكتابة على كتاب الإيمان له .



منها لأن الاسم لا ينتفي إلا بانتفاء بعض أركان المسمى أو واجباته) [72] ويقول ابن تيمية (.... ثم إن نفي الإيمان عند عدمها دال على أنها واجبة فالله ورسوله لا ينفيان اسم مسمى أمر الله به ورسوله إلا إذا ترك بعض واجباته كقوله صلى الله عليه وسلم " لا صلاة إلا بأم القرآن " وقوله صلى الله عليه وسلم " لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له، كما بين ابن تيمية رحمه الله تعالى أن مطلق الإيمان وهو أصله، غير الإيمان المطلق وهو الإيمان التام الواجب وبين أن جنس العمل الظاهر شرط في الإيمان المطلق وليس في أصل الإيمان، والاتفاق على أن من لم ينطق بالشهادتين فهو كافر، ثم اختلفوا في ترك الباقي وهي روايات عن أحمد أحداها أنه لا يكفر بترك شيء منها إذا لم يكن جاحداً لفرضيتها . "[73] .

3- ومن الأحاديث أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم: " الطهور شطر الإيمان " [74]ومثله " حسن العهد من الإيمان " (وغيرها كثير، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم -: " من أعطى لله ومنع لله، وأحب لله وأبغض لله، وأنكح لله فقد استكمل إيمانه " [75]وهذا يدل على أن هذه الأعمال جزء من مسمى الإيمان يكمل بوجودها وينقص بنقصها، ويزول بزوال جنسها والآيات والأحاديث الدالة على زيادة الإيمان ونقصانه كما سيأتي (لأن الأعمال إذا كانت إيمانا كان بكمالها تكامل الإيمان، وبتناقصها تناقص الإيمان وكان المؤمنون متفاضلين في إيمانهم كما هم متفاضلون في أعمالهم، وحرم أن يقول قائل (إيماني وإيمان الملائكة والنبيين واحد) لأن الطاعات كلها إذا كانت إيماناً فمن كان أكثر طاعة كان أكثر إيماناً ومن أدخل المعاصي بعد الطاعات وخلط عاملاً صالحًا وأخر سيئًا كان أنقص إيماناً ممن أخلص الطاعات جميعها. يري الباحث: بعد سرد كل ما سبق عن زيادة الايمان ونقصانه ،كما وضحنا في بداية هذا المبحث أن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالسيئات والمنكرات؛ ودليل ذلك بعض الأحاديث التي تدلل عن زيادة الإيمان، ومن خلال حديث شعب الإيمان. فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها

---

72 المؤلف: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب زين الدين أبو الفرج الحنبلي الدمشقي: عنوان الكتاب: "لطائف المعارف فيما للمواسم من وظائف" (ت: السواس)، المحقق: ياسين محمد السواس، مفهرس على العناوين الرئيسية، الناشر: دار ابن كثير: سنة النشر: 1420 - 1999
عدد المجلدات: 1 رقم الطبعة: 5، ص:234.

73 عبد الرحمن بن صخر: محمد بن إسماعيل البخاري كتاب صحيح البخاري، رقم الحديث: (6304) (6772) .

74 سنن صحيح ابن ماجه : رقم الحديث (280)
باب الوضوء شطر الإيمان 280 حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي حدثنا محمد بن شعيب بن شابور أخبرني معاوية بن سلام عن أخيه أنه أخبره عن جده أبي سلام عن عبد الرحمن بن غنم عن أبي مالك الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إسباغ الوضوء شطر الإيمان – ص 103

75 عبد الرحمن بن صخر: محمد بن إسماعيل البخاري كتاب صحيح البخاري، رقم الحديث: (6304) (6772) .



قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان " وقد اعتنى الأئمة بهذا الحديث واعتبروه أصلاً لإدخال الطاعات في الإيمان وعدوها من شعبه وألفوا في ذلك بعض المصنفات، ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الإيمان يتفاضل ويزيد الإيمان بالطاعة وينقص بالمعصية؛ قال تعالى: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) [76]وقال :(وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) [77]وقال تعالى: (وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) [78]وقال تعالى: (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً) [79]، وقال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ) [80]وقال تعالى:(وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً) [81]، وقال تعالى: (وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) [82]، وكل ما يزيد فقد كان ناقصاً، وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم وعظ النساء، وقال لهن: " ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن"[83]، فهذا دليل على نقصان الإيمان. ومثله قوله صلى الله عليه وسلم: " أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا". رواه أحمد وغيره عن أبي هريرة. وإذا كان من اتصف بحسن الخلق فهو أكمل المؤمنين إيمانا، فغيره ممن ساء خلقه أنقص إيمانا. والإيمان ليس شيئاً واحداً لا يتجزأ لذلك يصح الاستثناء فيه؛ وذلك بأن يقول

---

76 آل عمران : 173 .

77 الأنفال : 2 .

78 التوبة : 124 .

79 الأحزاب : 22.

80 الفتح : 4 .

81 المدثر : 31 .

82 التوبة : 124.

83- رواه البخاري في صحيحه (304)، ورواه مسلم في صحيحه (132). [1]- أخرجه الترمذي، أبواب الرضاع عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم-، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، برقم (1162)، وأحمد في المسند، برقم (7402)، وقال محققوه: "حديث صحيح، وهذا إسناد حسن، رجاله ثقات رجال الشيخين غير محمد بن عمرو –وهو ابن علقمة بن وقاص الليثي- فمن رجال أصحاب السنن، وروى له البخاري مقرونا، ومسلم متابعة، والحديث صحيح بمجموع طرقه وشواهده"، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (1232).



المسلم –مثلاً–: أنا مؤمن إن شاء الله؛ قال البيهقي: وقد روينا هذا – يعني الاستثناء في الإيمان – عن جماعة من الصحابة والتابعين والسلف الصالح) [84].

يتضح مما سبق ذكره أن مذهب السلف من أئمة السنة يستثنون في الإيمان ما كان راجعاً لأحد الأمور الأربعة التالية: **الأول**: بالنظر إلى تقبل الأعمال، فليس كل من عمل العمل تقبل منه، بل إن الله يقبل عمل المتقين من عبادهِ الصالحون كما قال تعالي : "إنما يتقبل الله من المتقين" [85]وفي الآية الكريمة دليل على أن الله تعالى لا يقبل طاعة إلا من مؤمن مُتقٍ، والثاني بالنظر إلى خشية ألا يكون أتى بالإيمان الكامل الذي يريده الله، وذلك بأن لا يكون أتى بالواجب كما يريده الله أو يكون اقترف بعض المحرمات، وأما الثالث فبالنظر إلى البعد عن تزكية النفس كما قال الله عز وجل: (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ[86]، وفي قوله تعالي: (فلا تزكوا أنفسكم) أي : تمدحوها وتشكروها وتمنوا بأعمالكم ، (هو أعلم بمن اتقى) [87]،كما قال : (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا) [88]، وأما الرابع: بالنظر للأمور المتيقن منها فيكون الاستثناء على اليقين كقوله تعالى: (لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين) [89]، آمنين أي على غير معنى شك أو خوف يعلمه الإنسان من نفسه، وإلا فهو يشك في تكميل العمل الذي خاف أن لا يكون كمله، فيخاف من نقصه، وهم أمنين لأنهم اطمأنت قلوبهم بالإيمان، ولفظي الإسلام والإيمان يختلف بعضهما في معناهما عن بعض بحسب الإفراد والاقتران وقاعدة ذلك وإذا قرن أحدهما بالآخر دل أحد الاسمين على بعض أنواع ذوي الحاجات والآخر على باقيها، قال تعالي: (قَالَتِ

---

84 أخرجه الترمذي، أبواب الإيمان عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه، برقم (2612)، وذكره الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (574/1)، في كلامه على حديث رقم (283)، وقال: "وإسناده صحيح على شرط الشيخين".رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح – تحقيق الألباني :حسن صحيح ، الصحيحة (284)

85 سورة المائدة: الآية: 27.

86 سورة النجم: الآية: 32.

87 سورة النجم: الآية: 32.

88 سورة النساء: الآية: 49.

89 سورة الفتح: الآية: 27.



الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [90]، فهكذا اسم الإيمان إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر، ودل بانفراده

على ما يدل عليه الآخر بانفراده، فإذا قرن بينهما دل أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده ودل الآخر على الباقي ويدل على صحة ذلك أن النبي – صلى الله عليه وسلم [91]، فسر الإيمان عند ذكره مفرداً في حديث وفد عبد القيس بما فسر به الإسلام المقرون بالإيمان في حديث جبريل – عليه السلام – وفسر في حديث آخر الإسلام بما فسر به الإيمان، كما في مسند الإمام أحمد عن عمرو بن عبسة قال: جاء رجل إلي النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال:(يا ر سول الله ما الإسلام؟ قال:(أن تسلم قلبك لله، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك)، قال: فأي الإسلام أفضل؟ قال: الإيمان، قال: وما الإيمان؟ قال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت)[92]، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان أفضل الإسلام، وأدخل فيه الأعمال؛ وبهذا التفصيل يزول الاختلاف فإذا أفرد كل من الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ، وإن قرن بين الاسمين كان بينهما فرق)[93].

وأن مسألة زيادة الإيمان ونقصانهِ من وجه نظر المخالفين لأهل السنة والجماعة، وخاصة في مسألة زيادة الإيمان بالطاعات ونقصانه بالمعاصي؛ حيث يقول الإمام الدماميني رحمه الله: الإيمان قول باللسان، وفعل بالجوارح والجنان فأطلق علي اعتقاد القلب فعلاً، ويزيد وينقص، أي الإيمان بهذا التفسير، وأما باعتبار حقيقة التصديق فلا يزيد ولا ينقص، نعم، هو قابل للشدة والضعف"[94]، وكلام الدماميني رحمه في كتابه المصابيح في شرح صحيح البخاري هو نفس منهج وكلام أهل السنة عن حقيقة الإيمان، من زيادتهِ ونقصانه، والإيمان كما هو عند أهل السنة والجماعة : قول وعمل واعتقاد، إلا إنهم خالفوا المعتزلة الذين قالوا : الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وإن تارك بعض العمل ـ آحاده ـ أو مرتكب الكبيرة ليس في قلبه شيء من الإيمان وهو مخلد في الآخرة في النار، واختلفوا في حكمه في الدنيا، فقالت الخوارج : هو كافر، وقالت

---

90 سورة الحجر: الآية: 14.

91 شعب الايمان للبيهقي: عنوان الكتاب: الجامع لشعب الإيمان (ط. الرشد) المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي أبو بكر؛ المحقق: مختار أحمد الندوي – عبد العلي عبد الحميد حامد، الناشر: مكتبة الرشد، سنة النشر: 1423 – 2003عدد المجلدات: 14 رقم الطبعة: 1؛ المجلد الرابع: ص 231.

92 نفس المرجع السابق: شعب الايمان للبيهقي: عنوان الكتاب: الجامع لشعب الإيمان (ط. الرشد) المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي: ص 232.

93 مرجع سابق: شعب الايمان للبيهقي المجلد الرابع: ص 231.

94 الإمام تقي الدين الدماميني ، مرجع سابق: كتاب صحيح الجامع، باب الإيمان، ص:87.



المعتزلة : هو بمنزلة بين منزلتين[95]، **والطائفة الثانية:** الجهمية، والإيمان عندهم : هو المعرفة فقط دون تصديق القلب، وقول اللسان وعمل الجوارح، فلو لم يصدق بقلبه وينطق بلسانه ويعمل بجوارحه فهو مؤمن إذا عرف بقلبه لأن هذه

الثلاثة غير داخلة في الإيمان، ولازم ذلك عندهم إيمان إبليس وفرعون وأبي جهل لأنهم عرفوا الله، "وقد سئل فضيل بن عياض عن الإيمان قال داخله وخارجه الإقرار باللسان، والقبول بالقلب والعمل به"[96]، ومن العلماء من قال لا تجزأ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً، لمن قال إن الإيمان هو المعرفة، ولا تجزأ معرفة بالقلب ونطق باللسان حتي يكون عمل بالجوارح، فإذا كملت فيه هذهِ الثلاث خصال كان مؤمنًا"[97]، وأما **الطائفة الثالثة فهي**: الكرامية، والإيمان عندهم : قول باللسان دون تصديق القلب أو عمل الجوارح، فمن تكلم به فهو مؤمن كامل الإيمان لأن الإيمان عندهم لا يتبعض، لكنهم لا ينكرون وجوب التصديق بل عندهم من كان مقراً بلسانه مكذباً بقلبه فهو منافق خالد في النار في الآخرة، فخالفوا أهل السنة في مسألة التصديق في الاسم ووافقوهم في الحكم، الطائفة الرابعة : الأشاعرة، والإيمان عندهم : مجرد تصديق القلب دون عمله وعمل الجوارح ودون قول اللسان. لكنهم يقولون : إن للإيمان لوازم إذا ذهبت دل على عدم تصديق القلب. وأما الطائفة الخامسة : وهم مرجئة الفقهاء، والإيمان عندهم : قول باللسان واعتقاد بالقلب دون عمل الجوارح، ولذا فالإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص، ومع أن المرجئة[98]، وهم حسب القاموس أرجأ الأمر أي أخره، يجمعون تقريباً على أن العمل ليس داخلاً في حقيقة الإيمان ولا داخلاً في مفهومه، إلا أن مرجئة الفقهاء أقرب هذه الطوائف لأهل السنة، وأبعدها طائفة الجهمية القائلون بأن الإيمان هو المعرفة فقط، ولذا كَفّرهُم جمع من أئمة السلف دون باقي طوائف المرجئة. وأشار شيخ الإسلام: "أن الغلط دخل على هذه الطوائف بسبب أنهم ظنوا أن الإيمان كل لا يتبعض ولا يتجزأ ولا يزيد ولا ينقص، بل إذا وجد فصاحبه مؤمن كامل الإيمان وإذا ذهب بعضه ذهب كله[99]، وأصل نزاع هذه الفرق في الإيمان من الخوارج والمرجئة والمعتزلة والجهمية وغيرهم، أنهم جعلوا الإيمان شيئاً واحداً إذا زال بعضه زال جميعه، وإذا ثبت بعضه ثبت جميعه فلم يقولوا بذهاب بعضه وبقاء

---

95 ابن حزم الظاهري، معتقد المعتزلة في الملل والنحل، المجلد الثالث، ص: 188.

96 عبد العزيز بن سلمه: " تقريب التهذيب"، بغداد، ابن حجر العسقلاني، المجلد الأول، ص:510.

97 أبو بكر محمد بن حسين الأجري، الكتاب: "الشريعة"، تحقيق: محمد حامد الفقي، الطبعة: الأولي، الناشر: مطابع السنة المحمدية، سنة: 1950م، ص: 119.

98 الفيروز أبادي، مجد الدين، القاموس المحيط: المجلد الأول، مصر، القاهرة، مطبعة السعادة ، بدون تاريخ، ص: 16.

99 مجموعة فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – ا.هـ (مجموع الفتاوى (7 / 451) (كتاب الإيمان) الموجود ضمن مجموعة الفتاوى / المجلد السابع – الطبعة الأولي ، كتاب الإيمان:(مجموع الفتاوى (7 / 438 – 439).



بعضه؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلَّم :"يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من الإيمان " – ثم قال – وقالت المرجئة والجهمية : ليس الإيمان إلا شيئاً واحداً لا يتبعض – ثم قال – قالوا لأننا أدخلنا فيه الأعمال صارت

جزءاً منه، فإذا ذهب بعضه فيلزم إخراج ذي الكبيرة من الإيمان [100]. ومن أدلة أهل السنة في زيادة الإيمان ما روى مسلم عن أبي عثمان النهدي عن حنظلة الأسيدي قال : وكان من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال[101]،: لقيني أبو بكر فقال كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة! قال: سبحان الله، ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله صلى عليه وسلم يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيراً. قال أبو بكر: فو الله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "وما ذاك؟." قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة، حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" والذي نفسي بيده؛ إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم، وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات " قوله: (وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا[102]، ويقول تعالى وليزداد الذين آمنوا بالله تصديقا إلى تصديقهم بالله وبرسوله بتصديقهم بعدّة خزنة جهنم، وقوله: (وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ) ([103]) يقول: ولا يشك أهل التوراة والإنجيل في حقيقة ذلك، والمؤمنون بالله من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وقوله: (وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ) ([104]) يقول تعالى ذكره: وليقول الذين في قلوبهم مرض النفاق، والكافرون بالله من مشركي قريش (مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلا) ([105]) ؛ وقد تناول الإمام تقي الدين الدماميني مسألة زيادة الإيمان ونقصانه من خلال كتابهِ مصابيح الجامع في شرح صحيح البخاري، ومن الأمثلة على ما قاله الإمام الدماميني في شرحه لمصابيح الجامع في مسألة

---

100 مرجع سابق: ابن تيمية – رحمه الله تعالى – ا.هـ (مجموع الفتاوى (7 / 451)) من خلال كتابه (الإيمان) الموجود ضمن مجموعة الفتاوى / المجلد السابع – الطبعة الأولي ، كتاب الإيمان:(انظر الفتاوى:47،50/13). فتاوي تيمية).

101 الإمام مسلم بن حجاج النيسابوري، صحيح الإمام مسلم، كِتَاب التَّوْبَةِ، بَاب فَضْلِ دَوَامِ الذِّكْرِ وَالْفِكْرِ فِي أُمُورِ، رقم الحديث: 4943.

102 الإمام مسلم بن حجاج النيسابوري، صحيح الإمام مسلم، كِتَاب التَّوْبَةِ، بَاب فَضْلِ دَوَامِ الذِّكْرِ وَالْفِكْرِ فِي أُمُورِ، رقم الحديث: 4943.

103 سورة المدثر: الآية :30.

104 سورة المدثر: الآية: 30-31.

105 سورة المدثر: الآية: 31.



زيادة الإيمان ونقصانه، بعدما قال رحمه الله بأن الإيمان، هو تصديق النبي – صلى الله عليه وسلم – فيما علم مجيئه به بالضرورة[106]؛ كما سبق ذكره، والأكثرون على أنه لا بد من الإقرار مع التمكن، وكثير من السلف، ومنهم البخاري

على أنه التصديقُ والإقرارُ والعملُ، لكن لا يخرج بترك العمل من الإيمان؛ خلافًا للمعتزلة، ولا يدخل في الكفر؛ خلافًا للخوارج، فالفاسق عندنا مؤمن، وعند المعتزلة ليس بمؤمن ولا كافر[107]، ونحصر ونختصر أهم الأقوال في زيادة الإيمان ونقصانه في هذا المبحث كما يأتي:

الرأي الأول: الإيمان هو: قول باللسان وهو النطق بالشهادتين واعتقاد بالقلب وعمل بالأركان وهذا القول هو للإمام البخاري، وابن عيينة، والثوري، وابن جريج، ومجاهد ومالك بن أنس، والشافعي، وأحمد بن حنبل وغيرهم من سلف هذه الأمة وخلفها من المتكلمين والمحدّثين، وأرادوا بذلك إنَّ الأعمال شرط لكمال الإيمان وليس شرطاً لصحته [108].

الرأي الثاني: إن الإيمان هو تصديق الرسول بما علم مجيئه ضرورةً، وتفصيلاً فيما علم تفصيلاً، وإجمالاً فيما علم إجمالاً تصديقاً جازماً مطلقاً سواء أكان لدليل أم لا؛ وهذا القول هو للأشعرية، وأكثر ألائمة، والقاضي عبد الجبار و وافقهم ابن الراوندي من المعتزلة [109]، والتصديق هنا غير العلم والمعرفة، والتصديق غير العلم والمعرفة، لأنَّ من الكفار من كان يعرف الحق ولا يصدق به عناداً واستكباراً[110]، ويترتب على هذا أن من صدَّق بقلبه ولم يقرّ بلسانه فهو مؤمن عند الله ويعامل معاملة الكافر في الدنيا، حتى لو مات عليه في الحال، كان مؤمناً ناجياً، ولا يخرج من الإيمان إلا بإنكار شيء من ذلك، ومن اقرَّ بلسانه ولم يصدّق بقلبه فهو كافر عند الله وتجري عليه أحكام المسلم في الدنيا وهو المنافق [111].

---

[106] الدماميني، *مصابيح الجامع* 1. 86

[107] الدماميني، مصابيح الجامع 1. 85

[108] المزني، أبو ابراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، 1415هـ / 1995م، شرح السنة معتقد إسماعيل بن يحيى المزني، تحقيق: جمال عزون، السعودية: مكتبة الغرباء الأثرية، 1: 77. ابو الحسن، علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري، 1397هـ /1977م، الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق: د. فوقية حسين محمود، لقاهرة: دار الأنصار، 1 :20.

[109] أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني، 280هـ/894م، نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريس الجهمية العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع .

[110] التفتا زاني، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله ، 1401هـ / 1981م، شرح المقاصد، باكستان: دار المعارف النعمانية 1: 250 .

[111] الشهرستاني، الملل والنحل، 1: 101، السعدي، عبد الملك عبد الرحمن، 1408هـ /1988م، شرح النسقية في العقيدة الإسلامية، العراق: مكتبة دار الأنبار، 1: 165 .



الرأي الثالث: إن الإيمان هو المعرفة، أي المعرفة بالله وحده، وهو مذهب جهم بن صفوان، فمن عرف الله بقلبه وجحد بلسانه ومات قبل الإقرار فهو مؤمن إيماناً كاملاً [112]، وهو قول باطل لأن من عرف بقلبه ولم يصدَق قلبه ولم يتكلم

بلسانه ولم يعمل بجوارحه، فإنه لا يعلق عليه شيء من أحكام الإيمان في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يدخل في خطاب الله لعباده المؤمنين، ولزم أيضاً إيمان أهل الكتاب لأنهم عرفوا النبي صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنوا به، وكذلك للزم إيمان فرعون وقومه لأنهم عرفوا صدق سيدنا موسى ولم يؤمنوا[113].

الرأي الرابع: إنَّ الإيمان هو التصديق بالجنان والإقرار باللسان، وهو رأي الحنفية[114].

الرأي الخامس: الإيمان هو النطق بكلمتي الشهادة فقط، وهو قول الكرامية، والمرجئة، وزعموا أن المنافق مؤمن الظاهر كافر السريرة فيثبت له حكم المؤمنين في الدنيا وحكم الكافرين في الآخرة [115]، وقد رد الإمام البخاري "رحمه الله" على أصحاب هذا القول من المرجئة في أكثر من باب في كتاب الإيمان ومنها: باب من قال إن الإيمان هو العمل.

الرأي السادس: "الإيمان هو العمل"، وهو قول المعتزلة وقد اختلفوا في ذلك الى ثلاث فرق[116]؛ واذا انتفى جزء من الإيمان فكيف لا ينتفي الكل بانتفاء الجزء؟، ويجيب الدماميني على هذا السؤال بقوله :" أن المراد أن الإيمان لا يطلق على أساس النجاة، وعلى الكامل المنجي بلا خلاف، والدليل على أنه عمل القلب قولُه تعالى:﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾[117]،﴿وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾[118]﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[119]؛بالشهادتين إنما هو في حكم الدنيا من عصمة الدم والمال، وحقيقةُ التصديق: الإذعان[120].

---

112 القسطلان، *إرشاد الساري*، 1: 120.

113 علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، *مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين*، ط3، تحقيق: هلموت ريتر، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1: 279.

114 الملا علي القاري، *شرح الفقه الأكبر*، بيروت: دار الكتب العلمية، 1: 86 .

115 الأشعري، *مقالات الإسلاميين*، 1: 137. البغدادي، والفرق بين الفرق، 1: 194.

116 التفتازاني، *شرح المقاصد*، 2: 248 .

117 [المجادلة: 22].

118 الحجرات:14].

119 [المائدة: 41]

120 الدماميني، *مصابيح الجامع*، 1: 86.



الخاتمة والنتائج:

يتبين ما سبق عن حقيقية قضية الإيمان في كتاب مصابيح الجامع علي شرح صحيح البخاري للإمام العلامة القاضي بدر الدين الدماميني ولقد تناول الإمام حقيقة الإيمان من خلال الباب الأول من المجلد الأول من صحيح البخاري، وهي قضية فيها اختلاف بين العلماء خاصة في مبحث زيادة الإيمان ونقصانه وبين ووضح البحث تلك الأقوال للعلماء

وخلاصتها؛ من قال أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، لأن الإيمان هو التصديق بالله وبرسوله، والتصديق شيء واحد لا يتجزأ، فلا يتصور كماله مرة ونقصانه أخرى، لأنه متى قبل ذلك كان شكاً وكفراً وهو قول جمهور المتكلمين، وبه قال أبو حنيفة، وكثير من العلماء [121]".

- يتضح حقيقة صحة كلام الإمام الدماميني أن الإيمان يزيد وينقص وهو مذهب أهل السنة والجماعة من سلف هذه الأمة وخلفها، وقال به بعض المتكلمين[122].
- فصّل الإمام الدماميني القول في زيادة الإيمان ونقصانه فقال: بأن الإيمان باعتبار حقيقة التصديق، فلا يزيد ولا ينقص، نعم هو قابل للشدة والضعف.
- وضح البحث قول أكثر العلماء أن نفس التصديق يزيد بتظاهر الأدلة، وكثرةِ النظر، وينقص بفقد ذلك، ولهذا كان إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم؛ بحيث لا تعتريهم الشبهة، ولا يتزلزل إيمانهم، وهو إذا تأملت إنما يرجع إلى القوة والضعف[123].
- بين الإمام الدماميني من خلال مصابيح الجامع لشرح البخاري استدلال أصحاب هذا القول بأدلة من الكتاب والسنة وأثار السلف وأقوال بعض أهل العلم : ومن الآيات: قوله تعالى : ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾[124].

---

[121] الأشعري، *مقالات الإسلاميين*، 1: 139. التفتازاني، *شرح المقاصد*، 2: 261. الملا علي القارئ، *شرح الفقه الأكبر*، 1: 126.

[122] أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي، 1375هـ /1975م، *أصول الدين*، بيروت: دار الكتب العلمية، 1: 252 ، البيهقي، 1401،1هـ /1981م، *الإعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد*، بيروت: دار الآفاق الجديدة،1: 181– 182.

[123] الماميني، *مصابيح الجامع*، 1: 88.

[124] القرآن الكريم ، الفتح: 4



﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾[125]، ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾[126]، ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[127]، ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾[128]، وَقَوْلُهُ: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾[129]، فدلالة الآيات واضحة على زيادة الإيمان ونقصانه .

- وضح الإمام الدماميني من خلال مصابيح الجامع لشرح البخاري الأدلة من السنة فاستدلوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ)[130].
- يتضح صحة ما تحدث بهِ الإمام الدماميني رحمه الله وأفرد باب عن الإيمان في كتابه مصابيح الجامع علي شرع صحيح البخاري، فتكلم عن الإيمان، والزيادة في الإيمان والانتقاص منه، وتسمية الإيمان بالقول دون العمل، ومن جعل الإيمان المعرفة بالقلب وان لم يكن عمل، وذكر ما عابت به العلماء من جعل الإيمان قولاً بلا عمل، وما نهوا عنه من مجالستهم، والخروج من الإيمان بالمعاصي.
- بين الإمام الدماميني من خلال مصابيح الجامع لشرح البخاري ما ختم به الإمام البخاري في صحيحه من باب الإيمان في المجلد الأول في كتابه المصابيح، بذكر الذنوب التي تلحق بالكبائر بلا خروج من الإيمان؛ ثم قال: ولهذا كان إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم؛ بحيث لا تعتريهم الشبهة، ولا يتزلزل إيمانهم، وهو إذا تأملت إنما يرجع إلى القوة والضعف.
- وضح الإمام الدماميني من خلال المصابيح، بآن للإيمان فرائض وشرائع وحدوداً وسنناً؛ فمن أداها فقد استكمل الإيمان، ومن لم يؤدِهَا لم يستكمل الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص.

وفي نهاية هذا البحث يري الباحثان بعدما تم تناوله في قضية حقيقة قضية الإيمان وزيادتهِ ونقصانه؛ للإمام الدماميني من خلال مصابيح الجامع لشرح البخاري وهو أن الإيمان يزيد وينقص؛ يزيد بعمل الطاعات وينقص بالمعاصي والذنوب، وهو مذهب أهل السنة والجماعة الصالحين والصحابة الكرام رضي الله عنهم .

---

[125] القرآن الكريم ، الكهف: 13

[126] القرآن الكريم ، مريم: 76

[127] القرآن الكريم ، محمد: 17

[128] القرآن الكريم ، المدثر: 31

[129] القرآن الكريم ، التوبة: 124

[130] صحيح البخاري ، شرح القَسْطَلانيّ، برقم 44، 1: 180.



المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.

مصابيح الجامع وهو شرح الجامع الصحيح للإمام البخاري المشتمل على بيان تراجمه وأبوابه وغريبه وإعرابه، للإمام القاضي بدر الدين الدماميني المالكي، تحقيق: نور الدين طالب، اصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بيروت: دار النوادر، 2009م.

المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية: الناشر: مكتبة الشروق الدولية، سنة النشر: 2004م.

صحيح البخاري، الإمام أبي عبد الله بن اسماعيل بن إبراهيم البخاري المتوفي سنة: 256هـ، ترقيم وترتيب: الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، تقديم : أحمد محمد شاكر؛ الجيزة: مكتبة ألفا للتجارة والنشر والتوزيع 2008م، 1429هـ.

صحيح مسلم، يحيي بن شرف أبو زكريا النووي، كتاب صحيح الإمام مسلم؛ دار الخير سنة النشر: 1416هـ / 1996م ، رقم الطبعة:2عدد الأجزاء: ستة.

الفتاوى الكبرى لإبن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، 1408هـ - 1987م، الناشر: دار الكتب العلمية.

لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، بيروت: دار صادر، الطبعة: الثالثة، 1414هـ..

ملخص فقه العبادات (الطهارة، الصلاة)، علوي بن عبد القادر السقاف، المملكة العربية السعودية: مؤسسة دار الدرر السنية، 1437هـ، 2016م..



تفسير الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1420 هـ - 2000 م.

طبقات الحنابلة، أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (المتوفى: 526هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار المعرفة.

سير أعلام النبلاء، لشمس الدين حمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الطبعة السابعة 1990/1410.

مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنبلي الشهير بابن قيّم الجوزية: مؤسسة الرسالة، سنة النشر: 1418 – 1998م.

فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، حققهُ: محمد عبد الباقي، وأخرجه: محب الدين الخطيب دار الريان للتراث سنة النشر: 1407هـ / 1986م ،الطبعة الثانية.

لطائف المعارف فيما للمواسم من وظائف، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب زين الدين أبو الفرج الحنبلي الدمشقي، المحقق: ياسين محمد السواس، الناشر: دار ابن كثير: سنة النشر: 1420 – 1999م..

سنن صحيح ابن ماجه، سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، بيروت : دار الفكر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي مع الكتاب: تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.

الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها..

الجامع لشعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي أبو بكر؛ المحقق: مختار أحمد الندوي – عبد العلي عبد الحميد حامد، الناشر: مكتبة الرشد، سنة النشر: 1423 – 2003م..

كتاب الشريعة، أبو بكر محمد بن حسين الأجري، تحقيق: محمد حامد الفقي، الطبعة: الأولي، الناشر: مطابع السنة المحمدية، 1950م..



القاموس المحيط، الفيروز أبادي، مجد الدين،: المجلد الأول، مصر، القاهرة، مطبعة السعادة ، بدون تاريخ.

شرح السنة معتقد إسماعيل بن يحيى المزني، المزني، أبو ابراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، ، ، تحقيق: جمال عزون، السعودية: مكتبة الغرباء الأثرية، 1415هـ / 1995م. .

الإبانة عن أصول الديانة، ابو الحسن، علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري، ، تحقيق: د. فوقية حسين محمود، القاهرة: دار الأنصار، 1397هـ /1977م..

نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريس الجهمية العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد، أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني، 280هـ/894م، ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع 1418هـ - 1998م..

شرح المقاصد، التفتا زاني، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله ، باكستان: دار المعارف النعمانية، 1401هـ / 1981م..

الملل والنحل، الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، بيروت : دار المعرفة – ، 1404م، تحقيق : محمد سيد كيلاني..

